# العهد القديم في حياة الكنيسة

الأب ميلاد جاويش

## مقدّمة

"عندهم موسى والأنبياء، فليسمعوا لهم" (لو ١٦:٢٩)، صرخة ابراهيم الخليل هذه للغنيّ الجاهل هي أيضًا نداء يسوع المسيح للكنيسة عروسه. إنّها وصيّته لها. وصيّة بقيت الكنيسة وفيّة لها على مرّ العصور. فهي، على شاكلة مؤسّسها الإلهيّ، تبنّت كتب اليهود القديمة في قانون كتابها المقدّس، وصلّتها وتأمّلتها في قلبها. لكنّ الطريق إلى هذه القناعة لم تكن كلّها ورودًا، بل أيضًا أشواك. فلقد قام، سواء في الكنيسة القديمة أو في أيّامنا هذه، أناس رفضوا العهد القديم ورذلوه، بحجّة أنّ المسيح نقض "بجديده" كلّ شيء "قديم".

سنحاول في هذه المداخلة أن نعرض، قدر المستطاع، سير **العهد القديم في حياة الكنيسة**: **أوّلاً** في الكنيسة الأولى عبر تبنّيها له في الكتاب المقدّس المسيحيّ؛ **ثانيًا** في عهد الآباء الكنسيّين، وفي القرون الوسطى والحديثة والمعاصرة؛ **وثالثًا** في كيفيّة عيش المؤمنين للعهد القديم في حياتهم الليتورجيّة والرعويّة.

مرجعنا الأساسيّ في هذا كلّه، والذي منه استقينا تصميم هذه المداخلة، هو المجمع الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ في الوحي الإلهيّ، **كلمة الله**، الذي نحتفل اليوم بمرور أربعين سنة على صدوره عام ١٩٦٥.

## – العهد القديم في الكتاب المقدّس المسيحيّ: انعكاس لحياة الكنيسة الأولى

تكوّن الكتاب المقدّس المسيحيّ في رحم الكنيسة الأولى وتغذّى من دفق دم قلبها. هي أمّه التي تبنّته، في قانون عهده القديم ، وولدته، في قانون عهده الجديد.

فهو إذًا انعكاسٌ لحياتها ومرآة لقناعاتها الراسخة. في الواقع، لقد اقتنعت الكنيسة، منذ اللحظات الأولى لتأسيسها، بوحدة تاريخ الخلاص وتطوّره معًا: "**إنّ الله، بعدما كلّم الآباء قديمًا بالأنبياء مرّات كثيرة بوجوه كثيرة، كلّمنا في آخر الأيّام هذه بالابن**" (عب ١: ١-٢). لهذا، لم يأتِ تبنّي المسيحيّين للعهد القديم ككتابٍ مقدّس لهم أيضًا وفاءً لإرادة المسيح وعملاً بقوله فحسب، بل أيضًا نتيجة قناعة كنسيّة راسخة، وخبرة حياتيّة واقعيّة، وصدىً لتيّارات فكريّة عديدة، وترجمةً لعمليّة تفسيريّة واسعة.

سنلقي الضوء في هذا القسم على الطريقة التي تعاملت فيها الكنيسة الأولى مع الكتب القديمة التي سمّتها "العهد القديم" (٢كو ٣: ١٤): أهمّيّتها بالنسبة إليها، تبنّيها واستعمالها لها، رأيها في إتمام المسيح لمواعيدها، تأثيرها على تدوين كتب "العهد الجديد"، بكلمة، كيف صار العهد القديم حياةً للكنيسة الأولى ومُلهِمًا لكتّابها.

عرض الدستور العقائديّ **كلمة الله** تعليم الكنيسة الرسميّ في هذا المجال، ملخّصًا ما علّمته الكنيسة دومًا عبر القرون، إمّا على لسان آبائها القدّيسين، أو من خلال قرارات المجامع السابقة، أو ما جاء في تعاليم الباباوات السابقين. **فخصّص الفصل الرابع** بأكمله لإعلان إيمان الكنيسة الراسخ بخصوص العهد القديم. فركّز على أنّ أسفاره تحوي تدابير الله الخلاصيّة، التي سردها الكتّاب الملهَمون، فجاءت كلامًا من الله حقًّا موحى به بواسطة الروح القدس[١]. وما كان وعدًا في القديم تحقّق مع مجيء المسيح. فالعهد القديم هو تهيئة لهذا المجيء وتنبّؤ عنه وتعريف به تعريفًا رمزيًّا مختلف الوجوه. لذلك على المسيحيّين أن يتقبّلوه بورعٍ وخشوع[٢]. أمّا وحدة العهدين، القديم والجديد، فتنبثق من وحدة مؤلّفهما وملهمهما، الله[٣].

(١) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، **كلمة الله**، ١٤.

(٢) المرجع نفسه، ١٥.

(٣) المرجع نفسه، ١٦.

وما قاله المجمع الفاتيكانيّ باختصار عادت وثيقة فاتيكانيّة حديثة أخرى تطرحه على بساط البحث وشرحه مطوّلاً. فلقد أصدرت اللجنة البيبليّة الحبريّة، سنة ٢٠٠١، وثيقة بعنوان: **الشعب اليهوديّ وأسفاره المقدّسة في الكتاب المقدّس المسيحيّ**(٤). تبيّن هذه الوثيقة عمق العلاقات التي يؤسّس لها الكتاب المقدّس المسيحيّ بين المسيحيّين والشعب اليهوديّ، وراحت تجيب، ضمن نطاق عملها البيبليّ، على أسئلة عديدة تُطرح حول العهد القديم وحول أهمّيّته بالنسبة إلى المسيحيّين. ما يهمّ موضوعنا اليوم هو القسم الأوّل من هذه الوثيقة الذي يتكلّم عن أسفار الشعب اليهوديّ المقدّسة كجزءٍ أساسيّ من الكتاب المقدّس المسيحيّ(٥).

### ١ – العهد القديم كلمة إلهيّة ذات سلطان

لا يَخفى على أحد بأنّ المسيحيّة ولدت من رحم يهوديّة القرن الأوّل. المسيح نفسه وتلاميذه، بل المنتسبون الأوّلون إلى الديانة الجديدة، كانوا يهودًا. وحتّى عندما أخذت الكنيسة تتحرّر من قيود اليهوديّة، ظلّت المكانة الأهمّ "لليهوديّ أوّلاً" (روم ١:١٦). وتترجمت هذه الأهمّيّة باعتراف الكنيسة الأولى بالأسفار القديمة ككلمة من الله، موجّهة لها أيضًا. لهذا، تأمّل فيها المسيحيّون وصلّوها. ولمّا صار لديهم أسفار خاصّة جمعوها تحت اسم "العهد الجديد"، وهو تعبير مستوحى من إرميا النبيّ (٣١:٣١). هذه التسمية وحدها كافية لتبيان مدى العلاقة التي تربط العهدين، باعتبار أنّ ما من "جديد" لو لم يكن هناك من "قديم"(٦).

بعد هذا، تؤكّد الوثيقة على أنّ العهد الجديد يعترف بالسلطة الإلهيّة التي لأسفار اليهود المقدّسة، وتعطي على ذلك دليلين اثنين:

---

(٤) Commission Biblique Pontificale, *Le peuple juif et ses Saintes Ecritures dans la Bible chrétienne*, Città del Vaticano 2001.

(٥) خُصّص القسم الثاني للمواضيع الأساسيّة المشتركة بين الأسفار القديمة والعهد الجديد، أمّا القسم الثالث فهو لإظهار صورة اليهود الحقيقيّة في العهد الجديد.

(٦) اللجنة البيبليّة الحبريّة، **الشعب اليهوديّ**، ٢.

١) **اعتراف ضمنيّ من خلال استلهام لغة العهد القديم اليونانيّة.** فلولا الترجمة السبعينيّة لبقي جزء كبير من مفردات العهد الجديد مبهمًا وغير مفهوم(٧). وتكثر بين سطور الأسفار الجديدة الاستشهادات الكتابيّة، الضمنيّة منها والمباشرة، ممّا يدلّ على اعتراف كتّاب العهد الجديد بالإلهام الإلهيّ للكتب القديمة(٨).

٢) لا ننسى هنا الفعلين المشهورين λέγω و γράφω المستعمَلين في تعابير مثل: "قال الكتاب" (روم ٩:١٧)، "قال موسى" (روم ١٠:١٩)، قال الربّ على لسان النبيّ" (مت ١:٢٢)، "لأنّه مكتوب" (مت ٤:٦) ، "كتَبَ موسى" (لو ٢٠:٢٨). هذه النماذج وغيرها تبيّن ليس فقط مدى تجذّر العهد الجديد في خبرة شعب إسرائيل الدينيّة، بل أيضًا استراتجيّة الكتّاب الكنسيّين الملهمين القائمة على استخراج الحجج والبراهين من الكتب المقدّسة لمواضيعهم كافّةً، باعتبار أنّ "الكتاب لا يُنسخ" (يو ١٠:٣٥)، وأنّ "كلّ ما كُتب هو من وحي الله يفيد في التعليم والتفنيد والتقويم والتأديب في البرّ" (٢تي ٣:١٦)(٩).

وللتأكيد أكثر فأكثر على ترابط العهدين، تتكلّم الوثيقة، في الفقرات ١٢–١٥، عن طرق التحليل اليهوديّة التي استعارها كتّاب العهد الجديد في أسفارهم. نجد مثلاً عند الإنجيليّين الأربعة، كما عند بولس الرسول، القاعدتين الأوليين من قواعد المعلّم هيلّل السبع: الأولى هي "بالأحرى" (*a fortiori*)(١٠)، والثانية هي المقارنة (analogie)(١١)؛ فضلاً عن المدراش اليهوديّ الذي استعان به بولس،

(٧) كلمة αγγελος مثلاً تعني في اليونانيّة الكلاسيكيّة "رسول"، وبفضل السبعينيّة أخذت أيضًا معنى "ملاك". الشيء نفسه يقال أيضًا في الفعل اليونانيّ γινώσκω الذي يعني في اللغة البيبليّة، بالإضافة إلى معناه التقليديّ "عرف"، "أقام علاقة جنسيّة مع".

(٨) الرسالة إلى الرومانيّين مثلاً تحوي وحدها ٤٧ استشهادًا مباشرًا وواضحًا، و٧٢ استشهادًا ضمنيًّا أو تلميحًا إلى النصوص القديمة.

(٩) اللجنة البيبليّة الحبريّة، الشعب اليهوديّ، ٣–٥.

(١٠) راجع مثلاً مت ٦:٣٠؛ يو ٧:٢٣؛ رو ٥:١٥.

(١١) راجع مثلاً مت ١٢:١–٤؛ رسل ٢:٢٥–٢٨؛ غل ٣:١٠–١٤.

الفرّيسيّ السابق(١٢). خطب العهد الجديد أيضًا تستوحي من خطب المجمع اليهوديّ هيكليّتها من حيث الارتكاز على نصّ من التوراة وتدعيمه بنصوص من الأنبياء. هذا ما فعله يسوع في وعظه عن خبز الحياة في الفصل السادس من يوحنّا، وبعده بولس أثناء تبشيره في مجامع اليهود (راجع مثلاً رسل ١٣:١٧-٤١). لا ننسى طبعًا الخلفيّة اليهوديّة لنصوص الطفولة عند القدّيس متّى، حيث يبدو يسوع "موسى جديدًا"، أو لنشائد لوقا في بداية إنجيله على لسان زكريّا والعذراء مريم وسمعان الشيخ(١٣).

### ٢- في "الإتمام" توافق واختلاف

وعلى أساس ما بيّنته، **تذهب الوثيقة في تحليلها إلى حدّ القول بحتميّة إتمام الكتب المقدّسة.** وتستشهد على ذلك بأقوال المسيح نفسه في هذا الصدد، لا سيّما ما ورد منها عند القدّيس **لوقا** الذي يركّز أكثر من غيره على هذه "الحتميّة": "ذلك كلامي الذي قلته لكم إذ كنت معكم، وهو أنّه يجب أن يتمّ كلّ ما كُتب في شأني في شريعة موسى وكتب الأنبياء والمزامير" (لو ٢٤:٤٤؛ راجع أيضًا لو ٩:٢٢؛ ١٧:٢٥؛ ٢٢:٣٧). **من هنا، نستطيع القول بأنّ الأحداث، إذا جرت على ما كانت عليه، فإنّما لتمامها. هذا ما ركّز عليه القدّيس متّى في استعماله العبارة اليونانيّة ἵνα**، عندما تحدّث عن طفولة يسوع وعن حياته العلنيّة: "وكان هذا كلّه ليتمّ ما قال الربّ على لسان النبيّ" (مت ١:٢٢؛ راجع أيضًا ٢:١٥، ٢٣؛ ٤:١٤)؛ وأيضًا عندما أراد أن يفهم بشكل أوضح الآم المسيح وموته: "وإنّما حدث ذلك كلّه لتتمّ كتب الأنبياء" (مت ٢٦:٥٦). **هذه التعابير التي أوردها الإنجيليّون ما هي إلاّ انعكاس لقانون إيمان الكنيسة الرسوليّة ولكرازتها الأولى التي طالما بشّرت، من جيل إلى جيل، ليس فقط بسرّ يسوع الخلاصيّ، بل أيضًا بتوافق هذا السرّ مع ما ورد في الكتاب:** "سلّمت إليكم قبل كلّ شيء ما تسلّمته أنا أيضًا، وهو أنّ المسيح مات من أجل خطايانا كما ورد في

(١٢) راجع مثلاً روم ٤:١-١٠؛ ١كو ١٠:٤؛ ٢كو ٣:١٣-١٦؛ غل ٣:١٩.

(١٣) اللجنة البيبليّة الحبريّة، **الشعب اليهوديّ**، ١٢-١٥.

الكتب، وأنّه قبر وقام في اليوم الثالث كما ورد في الكتب" (١كو١٥:٣-٤؛ راجع أيضًا رسل ١٣:٢٧-٢٩، ٣٢، ٤٧؛ ١٥:١٥)[١٤].

وإذا كانت الوثيقة الحبريّة تشدّد على هذا التوافق بين العهدين، فإنّها لا تغضّ الطرف عن الاختلاف الموجود، وهناك بالطبع اختلاف، وإلاّ أين الجديد الذي أتى به المسيح؟ تستشهد الوثيقة خصوصًا برسالتي القدّيس بولس العاصفتين، غلاطية وروما، اللتين تحويان لاهوته الصافي: الإيمان بالمسيح ألغى خصوصيّة الشريعة كوسيلة ضروريّة للخلاص، لأنّ "الآن قد أُظهر برّ الله بمعزل عن الشريعة، (وهذا) تشهد له الشريعة والأنبياء" (روم ٣:٢١؛ راجع أيضًا غل ٣:٦-١٤، ٢٤-٢٥). كذلك الرسالة إلى العبرانيّين تظهر أنّ سرّ المسيح أتمّ النبوءات وكلّ مؤسّسات "العهد الأوّل" (عب ٨:٧) ذات الطابع "الظلّيّ" (عب ١٠:١)[١٥].

هناك أيضًا اختلاف جوهريّ يمسّ **طريقة تفسير الكتاب**. فبينما يُجمع اليهود بمختلف تيّاراتهم على أولويّة "التوراة" بكتبها الخمسة الأولى، ويُحدرون "الأنبياء" إلى الدرجة الثانية في الأهمّيّة، وباقي "الكتب" إلى الثالثة، كانت الجماعات المسيحيّة، باستثناء تلك المتهوّدة المتأثّرة بالمذهب الفرّيسيّ، تعطي الأوّليّة للنصوص النبويّة، كونها تعلن مسبقًا عن سرّ المسيح الخلاصيّ. كتابات بولس الرسول والرسالة إلى العبرانيّين هي أوضح مثال على ذلك، إذ لم يتورّع مؤلّفاً هذه الرسائل عن الدخول في جدال، عنيف أحيانًا، مع الشريعة الموسويّة[١٦].

**الإبحار في بحر هذا الموضوع شائك ومعقّد يتخطّى إطار** بحثنا الضيّق. ما يهمّنا في كلّ هذا هو التأكيد مع الكنيسة على وديعة الإيمان التي أعلنتها بحزم الوثيقةُ الحبريّة قائلة: "من دون العهد القديم يُضحي العهد الجديد كتابًا غامضًا، ونبتة حُرمت من جذورها، ومصيرها اليباس"[١٧].

---

(١٤) المرجع نفسه، ٦-٧.

(١٥) المرجع نفسه، ٨.

(١٦) المرجع نفسه، ١١.

(١٧) المرجع نفسه، ٨٤.

## العهد القديم في تاريخ الكنيسة: مواقف وآراء

### ١- عهد الآباء الكنسيّين

اختلفت آراء آباء الكنيسة بخصوص العهد القديم باختلاف الظروف والأوقات. فمنهم من قبلوه بحرفيّته وأكثروا من الاستشهاد به، ومنهم من وقفوا تجاهه موقف الرفض الكلّيّ، أو أقلّه موقف اللامبالاة، عندما كانوا في حالة دفاع أو جدل يمسّ المبادئ المسيحيّة، ومنهم - وهم الأكثريّة - من فسّروه تفسيرًا يسوعيًّا مسيحانيًّا.

**ممّا لا شكّ فيه أنّ تعاليم الآباء كان لها أثرها الكبير في تكوين عقيدة الكنيسة وتوضيحها في ما يختصّ بالعهد القديم**. الدليل على ما نقوله هو كثرة الاستشهادات بكتب الآباء في حواشي الدستور العقائديّ، **كلمة الله**، لاسيّما في الفصل الرابع الخاصّ بالعهد القديم (أوغسطينوس، إيريناوس، كيرللس الأورشليميّ، وتيودوروس المصّيصيّ).

#### أ- سلبيّة إلى حدّ الرفض، ردّ إيريناوس

في العهد الرسوليّ، حين لم يكن للكنيسة سوى العهد القديم ككتاب مقدّس، لأنّ العهد الجديد كقانون متكامل ومستقلّ لم يكن قد تكوّن بعد، نجد مثلاً **إغناطيوس الأنطاكيّ** (استُشهد حوالي سنة ١٠٧) يجابه المسيحيّين المتهوّدين في فيلادلفيا، الذين يقولون إنّهم لا يؤمنون بشيء من الإنجيل إذا لم يجدوه في "الوثائق" (ἀρχεία)، أي في الكتب القديمة. يتّخذ أغناطيوس موقفًا من العهد القديم لا يخلو من السلبيّة، لكن من دون بلوغ درجة الرفض: "بالنسبة إليّ، الوثائق هي يسوع المسيح. إنّ وثائقي المصونة هي صليبه، موته وقيامته، والإيمان المنبثق منه"(١٨). هذه الحساسيّة عند أغناطيوس تظهر بجلاء في طريقة استشهاده العموميّة والغامضة بالشريعة والأنبياء، على عكس معاصره **إكليمنضوس أسقف روما** (توفّي

(١٨) أغناطيوس الأنطاكيّ، الرسالة إلى أهل فيلادلفيا، ٨ و٢ .

سنة ١٠١) المشبعة كتاباته باستشهادات من العهد القديم التي تدلّ على أنّ لهذا الأخير عند المسيحيّين القيمة نفسها التي له عند اليهود.

أمّا المعارض الأكبر للعهد القديم والرافض له كلّيًّا فهو من دون منازع **مرقيون** (٨٥–١٦٠). فثنائيّته الحادّة قادته إلى تأكيد تعارض الشريعة مع الإنجيل تعارضًا تامًّا لا لقاء فيه، وبالتالي، إلى تناقض "الإلهَين" اللذين يبشّران به. فالله خالق الكون وإله إسرائيل يناقض تمامًا إله الإنجيل، الفادي، الذي كشفه لنا المسيح. يرفض مرقيون كلّ قراءة مسيحانيّة للعهد القديم، وذلك لسبب بسيط، وهو **أنّ الأخير لم يتكلّم أبدًا عن يسوع وحتّى لم يُنبئ به. سلبيّة مرقيون طالت أيضًا أسفار العهد الجديد**، فلم يتبنَّ منها سوى إنجيل لوقا وبعض رسائل بولس الرسول، رافضًا خصوصًا إنجيل متّى الحاوي استشهادات كتابيّة كثيرة. ردّت الكنيسة بعنف وصلابة على طروحات مرقيون ورذلت ثنائيّته الحادّة. وانبرى إيريناوس أسقف ليون وترتليانوس[١٩] للدفاع عن إيمان الكنيسة الراسخ بخصوص تبنّي العهد القديم ككتاب ملهم من الله.

الواقع أنّ **إيريناوس أسقف ليون** (١٤٠–٢٠٢) هو محارب الغنّوصيّين ومرقيون بامتياز، فقد دافع في كتاباته **عن وحدة الكتاب المقدّس بعهديه** اللذين يتمتّعان بذات القيمة. **وحدة الكتاب هذه تتأتّى من وحدة تدبير الخلاص الذي ظهر في التاريخ عبر محطّات وعهود** مختلفة: "أربعة عهود أُعطيت للبشريّة: الأوّل قبل الطوفان في أيّام آدم، والثاني بعد الطوفان في أيّام نوح، والثالث، وهو عطيّة الشريعة، في أيّام موسى، وأخيرًا الرابع، الذي يجدّد الإنسان وتتلخّص به جميع الأشياء، حصل بواسطة الإنجيل، وهو يرفع البشر ويجعلهم يحلّقون نحو الملكوت السماويّ"[٢٠]. هناك إذًا تاريخ الخلاص الذي يتدخّل فيه الله مخلّصًا شعبه. تدخّلات الله هذه، أي "تدابيره الخلاصيّة"، تتلخّص وتتجمّع في شخص يسوع المسيح (Récapitulation). الكتاب

(١٩) بفضل هذين الكاتبين وصل إلينا تفكير مرقيون عن الكتاب المقدّس، بعد أن عرضاه وعارضاه. راجع مثلاً ترتليانوس، **ضدّ مرقيون**، III, 6, 8-9؛ وإيريناوس، **ضدّ الهرطقات**، IV, 34, 5.

(٢٠) إيريناوس، **ضدّ الهراطقة**، III, 11, 8.

المقدّس ما هو إلاّ شهادة حيّة عن هذه التدابير الإلهيّة. لهذا، هو للكنيسة "قاعدة إيمان"(٢١).

**ب- القراءة الرمزيّة**

وفي القرن الثالث، لجأ العلاّمة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٣:٢٥٤) إلى القراءة الرمزيّة (allégorique) في تفسيره العهد القديم، هذه القراءة التي ورثها عن فيلون الإسكندري، الذي ورثها بدوره عن الكتّاب اليونانيّين. المبدأ التفسيريّ لهذه القراءة هو: **المعنى الحقيقيّ للكتاب ليس المعنى الأوّل الحرفيّ والتاريخيّ بل الثاني الروحيّ والرمزيّ الكامن تحت "رداء الحرف"**. هناك إذًا **"عبور" من التاريخ إلى الروح**. لهذا، يصبح العهد القديم صورةً ورمزًا للعهد الجديد، العهد الحقيقيّ، الذي تحقّق مع المسيح. المسيح هو من حرّر العهد القديم من حرفيّته وكشف عن معانيه الكامنة فيه والمخفيّة تحت طيّاته، وجعله يستحيل إنجيلاً آخر(٢٢).

**ج- وعد وإتمام**

**قراءة أخرى اعتمدها** الآباء لكي يفهموا العهد القديم فهمًا جيّدًا، وهي القراءة التي تتلخّص بالمعادلة التالية: **ما كان وعدًا في القديم تُمِّمَ مع يسوع المسيح** (وعد:إتمام). هكذا يصبح العهد القديم "مصدرًا (αρχην) لعقيدتنا، أي للإنجيل"، كما قال أوريجانوس(٢٣). معتمدو هذه القراءة هم كثر في تاريخ الكنيسة القديم. حجّتهم الأساسيّة هي كلام المسيح نفسه القائل: "لا تظنّوا أنّي جئت لأُبطل الشريعة أو الأنبياء: ما جئت لأُبطل، بل لأكمّل" (مت ٥:١٧؛ راجع أيضًا روم ١:١-٣)(٢٤). الرسالة المنسوبة إلى برنابا (حوالي سنة ١٣٠) **هي خير مثال على هذه القراءة**. فهي تعتبر العهد القديم مجرّد تنبّؤ عن المسيح، وليس غير ذلك(٢٥). المبدأ

---

(٢١) المرجع نفسه، I, 8, 1.

(٢٢) أوريجانوس، **تفسير إنجيل يوحنّا**، I, 33 .

(٢٣) أوريجانوس، **ضدّ سلسيوس**، II, 4 .

(٢٤) في ذات الخط كتب المجمع الفاتيكانيّ الثاني: "العهد القديم هو تهيئة لمجيء المسيح وتنبّؤ عنه، وتعريف به تعريفًا رمزيًّا مختلف الوجوه"، **كلمة الله**، ١٥.

(٢٥) **رسالة برنابا**، ٥،٦.

الذي يحرّك هذه القراءة هو التالي: إنّ العهد القديم لم يعد يخصّ العبرانيّين بل أصبح مُلك المسيحيّين. لقد فقد اليهود العهد القديم إلى الأبد، ليس مع مجيء المسيح فحسب بل حتّى قبل ذلك على جبل سيناء عندما حطّم موسى لوحي العهد أمام الشعب الخاطئ(٢٦) .

القدّيس **أغسطينوس** (٣٥٤-٤٣٠) أيضًا، وفي معرض ردّه على زعيم المانويّين فوستس الذي رفض العهد القديم وأيضًا كلام يسوع الوارد في مت ٥:١٧، يتبنّى هذه القراءة، فيعتبر أنّ كمال الناموس هو المحبّة. مع المسيح اكتمل الناموس في المحبّة وفي النعمة. فليس هناك بعد من واجب يحتّم علينا الخضوع لأحكام الشريعة ذات الطابع الظلّيّ والمؤقّت. إنّ العهد القديم يحوي العهد الجديد ولكن بطريقة مستترة، ولن يتجلّى بطريقة كاملة إلاّ مع المسيح(٢٧).

### ٢- القرون الوسطى

شهدت هذه القرون **عودة إلى المعنى** الحرفيّ للنصوص الكتابيّة بعد ما سيطرت القراءة التيبولوجيّة التقليديّة والرمزيّة الأوريجانيّة على القرون السابقة. رائد الفتح الجديد كان توما الأكويني (١٢٢٤-١٢٧٤) والمدرسة السكولاستيكيّة. مبدأ الأكويني الأساسيّ هو: **لا يمكننا تفسير الكتاب تفسيرًا صحيحًا انطلاقًا من المعنى الرمزيّ، بل فقط من المعنى الحرفيّ**"(٢٨). **لهذا بين العهدين القديم والجديد فرق نوعيّ** كبير. **فوظيفة الشريعة الأساسيّة هي الإعلان المسبق عن المسيح والتدبير الجديد، أمّا المسيحيّ فشريعته هي شريعة الإنجيل الجديدة**(٢٩) التي تتلخّص مبادئها في خطاب يسوع على الجبل.

---

(٢٦) المرجع نفسه، ٤، ٦-٧.

(٢٧) أوغسطينوس، **في الجهلة الواجب تعليمهم**، IV, 8, 8-9.

(٢٨) اللجنة البيبليّة الحبريّة، **الشعب اليهوديّ**، ٢٠.

(٢٩) توما الأكوينيّ، **الخلاصة اللاهوتيّة**، II, 106-108.

أمّا مارتن لوثر المصلح (١٥٤٦-١٤٨٣)، فقد رفع لواء "solus Christus" لأنّ يسوع المسيح، بالنسبة إليه، هو محور الكتاب المقدّس وقلبه: "ليس رسوليًّا كلّ من لا يعلّم المسيح، حتّى لو كان هذا القدّيس بطرس أو القدّيس بولس؛ أمّا من يبشّر بالمسيح فهو رسوليّ حتّى ولو كان هذا يهوذا وحنّة وبيلاطس وهيرودس"(٣٠). من هنا شعار لوثر الثاني "sola Scriptura"، "الكتاب المقدّس وحده" لأنّه الطريق الأساسيّ للوصول إلى المسيح. في بداياته، تبنّى لوثر ما كان سائدًا في عصره، فعارض بين الشريعة والإنجيل، وبالتالي بين العهد القديم والعهد الجديد، على خلفية تعارض الحرف مع الشريعة. لكنّه تكلّم في مراحل متقدّمة من تعليمه عمّا سمّاه "المجمع اليهوديّ المؤمن". كلا العهدين، القديم والجديد، يتكلّمان عن شريعة وإنجيل. فيهما نجد يهودًا قادرين أن يشهدوا للمسيح شهادة صادقة، بينما نجد أيضًا رؤساء كنيسيّين قادرين على إنكاره(٣١).

### ٣- القرون الحديثة والمعاصرة

زاد الاهتمام بالكتاب المقدّس مع الإصلاح البروتستانتيّ وبعده. وجاء اكتشاف المنهجيّة التاريخيّة-النقديّة، مع عصر الأنوار، ليضاعف الدراسات البيبليّة ويعمّقها، حتّى لو أدّت أحيانًا هذه الدراسات إلى نتائج خطيرة مسّت المبادئ الكنسيّة الأساسيّة للكتاب المقدّس: نفي الإلهام الإلهيّ، استحالة وحدة العهدين بسبب الشرخ التاريخيّ واللاهوتيّ بينهما، تجزئة النصوص وتفكيكها بعضها عن بعض،الخ. بكلمة، أضحت دراسة الكتاب المقدّس كدراسة أيّ نصّ أدبيّ قديم وليس احتكاكًا مع كلمة الله المدوّنة.

#### أ- "مرقيونيّون" جدد معارضون

ولعلّ الأخطر من هذا كلّه هو ظهور "مرقيونيّين" جدد بعثوا من الموت معتقدات مرقيون القرن الثاني. ففي سنة ١٩٢٠، كتب اللاهوتيّ الليبراليّ **أدولف**

---

(٣٠) عن: B. S. CHILDS, *Teologia biblica. Antico e Nuovo Testamento* (tr. it.) Casale Monferrato 1998, p. 60.

(٣١) المرجع السابق نفسه، ص ٦٢.

**فون هرناك** (Harnack) ما يلي: "**رذل العهد القديم في القرن الثاني** (يغمز من قناة مرقيون) كان خطأً تصدّت له، بحقٍّ، الكنيسة، والإبقاء عليه في القرن السادس عشر كان ضرورة لم يقدر الإصلاح على تفاديها، لكن أن يبقى العهد القديم في البروتستانتيّة حتّى يومنا هذا وثيقةً قانونيّة تعادل في قيمتها العهد الجديد، فهذا هو نتيجة إعاقة دينيّة وكنسيّة"(٣٢). موقف هرناك هذا ازداد حدّة لمّا أخذ صاحبه، على منوال مرقيون، **يعارض إله اليهود المنتقِم والصارم مع إله يسوع الكلّيّ الصلاح والرأفة.** ولكي يدعم موقفه، راح هرناك يبيّن التقارب الذي بين مرقيون ولوثر من حيث تضادّ الإنجيل مع الشريعة.

أمّا بولتمان اللاهوتيّ البروتستانتيّ الشهير، فإنّ موقفه كان أكثر ليونة. **يعتبر بولتمان أنّ العهد القديم لم يعد يعني للمسيحيّ أيّ معنى إيجابيّ، كونه فقط وعدًا تحقّق مع المسيح**، وعدًا أُعطي قديمًا لإسرائيل، وبالتالي، يعنيه وحده فقط. لم يستطع بولتمان، في موقفه هذا، أن يتحرّر من المفهوم اللوثريّ الذي يرى تعارضًا قويًّا بين الشريعة والإنجيل.

كاتب معاصر آخر واختصاصيّ بعلم النفس، يُدعَى **هنّا فولف** (Hanna Wolff)، له أيضًا رأي مميّز عن العهد القديم في كتابه ذي العنوان المعبّر: **خمر جديد، زقاق عتيقة.** يقول فولف إنّ على الكنيسة أن تعيد العهد القديم إلى اليهود، "لأنّنا نرفض أن نكون بعد اليوم يهودًا أفضل، فنحن مسيحيّون بكلّ بساطة، علينا أن نكون نحن أنفسنا"(٣٣). وأوقع فولف اللاّئمة على اللاهوت المسيحيّ التقليديّ الذي، بإصراره على صبّ خمر الرسالة المسيحيّة الجديد في زقاق اليهوديّة العتيقة، منع المسيحيّين من أن يكتشفوا هويّتهم الجديدة التي منحهم إيّاها المسيح. بولس الرسول هو، بحسب فولف، من بنى اللاهوت المسيحيّ على مفهوم "العهد"، في حين أنّ المسيح لم يرد ذلك. كلّ ما أراده المسيح هو خلق هويّة جديدة للمسيحيّ، هويّة تتلخّص بعبارته المشهورة: "أمّا أنا فأقول لكم" (مت ٥:٢٢).

---

(٣٢) عن: اللجنة البيبليّة الحبريّة، **الشعب اليهوديّ**، التوطئة، ص ٧.

(٣٣) H. W. WOLFF, *Vino nuovo, otri vecchi* (tr. it) p. 15.

**ب- لاهوتيّون موالون للقراءات التقليديّة**

لم يكن طبعًا جميع اللاهوتيّين المعاصرين من جبهة هرناك المعارضة للكتب القديمة. فهناك من دافع عن القراءة التيبولوجيّة التقليديّة التي كان يتّبعها آباء الكنيسة، بل الكتّاب الملهمون أنفسهم. من بين هؤلاء نذكر اللاهوتيَّين **غرولو** Grelot **وغوبّيلت** Goppelt. لقد أعاد غوبّيلت[٣٤] **الوهج للقراءة التيبولوجيّة بعد إهمال المنهجيّة التاريخيّة-النقديّة** لها. حجّة غوبّيلت الأساسيّة هي أنّ القراءة التيبولوجيّة تختلف عن تلك الرمزيّة. فبينما الثانية لا تقيم وزنًا للمعنى الأوّل التاريخيّ بل تعتبره رمزيًّا محضًا لحقيقة مستقبليّة، تحافظ القراءة الأولى على واقعيّة المعنى الأوّل والتاريخيّ من دون أن تنسى إمكانيّة تحقيقه بشكلٍ تامّ في المستقبل.

بعد غوبّيلت، جاء بول بوشان (Paul Beauchamp) يُكمل تفكيره ويُضفي على التيبولوجيّا بعدًا جديدًا. ففي كتابه[٣٥] L'un et l'autre Testament، يركّز بوشان على فكرة الإتمام، لأنّ كلّ شيء في الكتاب المقدّس يتّجه نحو هدفه الأخير (τέλος). لهذا تكتمل التيبولوجيا مع "التيليولوجيا". فالإتمام لا يعني فقط تحقيقًا لما سبق كأنّه دائرة مغلقة، بل أيضًا إبقاءٌ على وعد وسيرٌ باتّجاه الهدف. وكما أنّ في العهد القديم هناك الشريعة التي هي الأساس، وتأتي بعدها الكتابات النبويّة بمثابة تأوين لها، والمؤلّفات، بكتبها الرؤيويّة، كانفتاح على عالم جديد وبداية جديدة، كذلك في العهد الجديد تأتي الأناجيل بالرواية الأساسيّة، وتشكّل الرسائل تأوينًا لها، وتأتي الرؤيا في الأخير لتختم ولتفتح في الوقت ذاته نحو الدهر الآتي المنتظر في الإيمان والرجاء.

أمّا الباحث الإلماني غيرهارد فون راد (Gerhard von Rad)، فقد خصّص الفصل الأخير من مؤلّفه **لاهوت العهد القديم**[٣٦] لدرس العلاقة بين العهدين القديم

(٣٤) في كتابه: L. GOPPELT, *Typos. The Typological Interpretation of the Old Testament in the New* (tr. ang.), Grand Rapids, 1982.

(٣٥) P. BEAUCHAMP, *L'un et l'autre Testament*. I- *Essai de lecture*, Paris 1976; II- *Accomplir les Ecritures*, Paris, 1990.

(٣٦) G. von RAD, *Teologia dell'Antico Testamento*, I-II, Brescia 1972.

والجديد. فكانت النتيجة أن ركّز على تاريخ الخلاص، هذا التاريخ الذي يجعل من العهدين وحدة لا تنفصل. الخلاص الذي صنعه الله له تاريخ، لأنّه ظهر في حقبات تاريخيّة منفصلة. يسرع فون راد فورًا إلى القول إنّ لاهوته ليس تاريخ ديانة إسرائيل، بل لاهوتٌ تاريخيّ، لاهوت مبادرات الله في التاريخ. لذا يميّز الكاتب بين حقبات، أو "تقاليد" بحسب تعبيره، في تاريخ الخلاص: التقاليد التاريخيّة والتقاليد النبويّة.

## -العهد القديم في حياة المؤمنين

### ١- في الليتورجيّا

خصّص الدستور العقائديّ **كلمة الله**، الفصل السادس منه، للتركيز على أهمّيّة الكتاب المقدّس في حياة الكنيسة، فأكّد، في الفقرة ٢١، على أنّ كلمة الله **التي تُقرأ في الاحتفالات الليتورجيّة توازي كرامة جسد المسيح ودمه المقدَّسَين على المذبح**. "فإذا قُرئت الكتب المقدّسة في الكنيسة، كما يؤكّد أيضًا الدستور العقائديّ **في الليتورجيّا المقدّسة**، فإنّ المسيح هو المتكلّم لأنّه حاضر في كلمته"[٣٧]. انطلاقًا من هذا المبدأ، لا تزال الكنائس الغربيّة تصرّ على قراءة فصل من كتب العهد القديم أثناء الاحتفال بالإفخارستيّا، بينما اكتفت الكنائس الشرقيّة بتلاوة فصول منه في صلوات فرضها الصباحيّة والمسائيّة.

**كما حثّ المجمعُ الوعاظ والمعلّمين على أن تكون كرازتهم مشبعة بالنصوص الكتابيّة**، لأنّ "كلمة الله حيّة فعّالة" (عب ٤:١٢) تفعل فعلها في النفوس وتغذّي إيمان المؤمنين. لذا فمواعظ الآحاد في الكنائس، والتعليم المسيحيّ في الرعايا، والتثقيف الدينيّ في المعاهد، كلّها تستوحي من الكتاب المقدّس روحانيّتها وقوّة إقناعها. ولكي يتحقّق هذا، يحثّ المجمع المؤمنين، لاسيّما الكهنة والشمامسة والمبشّرين والمعلّمين، على أن يقرأوا الكتاب المقدّس بتواتر قراءة مقرونة بالتأمّل

(٣٧) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، **دستور عقائديّ في الليتورجيّا المقدّسة**، ٧.

والصلاة، "لأنّه، كما قال القدّيس إيرونيموس، من جهل الكتب المقدّسة جهل المسيح"(٣٨). وهذا ما شدّدت عليه أيضًا وثيقة فاتيكانيّة حديثة أخرى صادرة عن اللجنة البيبليّة الحبريّة سنة ١٩٩٣، وهي: **التفسير البيبلي في الكنيسة**، مصرّحةً أنّ "الكهنة يتمتّعون بموهبةٍ خاصّة في تفسير البيبليا"(٣٩). فهم، بصفتهم مسؤولين في الجماعة الإفخارستيّة، يساعدون المؤمنين على سماع كلمة الله وعلى اكتشاف ما تقوله لقلوبهم. وعلى الأساقفة أيضًا تقع المسؤوليّة في تشجيع المؤمنين على قراءة الكتب الإلهيّة، وذلك عبر ترجمات مشفوعة بما يلزم من التفسيرات اللازمة. هكذا، "تواصل كلمة الله جريها وتتمجّد" (٢تس ٣:١).

### ٢- في الترجمات والدراسات المختلفة

ولكي تصل كلمة الله إلى الجميع، أوصى المجمع، في الفقرة ٢٢، بأن **يوضع الكتاب المقدّس بين أيدي المؤمنين عبر ترجمات جدّيّة ودقيقة التعبير** توافق لغتهم وثقافتهم. لا شكّ أنّ هذه التوصية **تُعدّ تطوّرًا هامًّا في تفكير الكنيسة أحرزه المجمع** بالمقارنة مع القرون الماضية، حيث كان تواصل العامّة من الناس مع كتب العهد القديم ممنوعًا ومحظورًا، ومحصورًا بالإكليريكيّين والأخصّائيّين فقط. هذا ما تعترف به أيضًا الوثيقة الفاتيكانيّة، **التفسير البيبلي في الكنيسة**، عندما تقول بأنّ "ألفة المؤمنين مع النصوص البيبليّة كانت بارزة في عصور من تاريخ الكنيسة أكثر منها في عصور أخرى"(٤٠). **ولهذا تؤكّد الوثيقة لاحقًا على ضرورة تعميم ثقافة الكتاب المقدّس على الجميع، لاسيّما على الضعفاء والمساكين والمحرومين، لأنّ ذلك يشكّل علامة من علامات الأزمنة المسيحيّة** (راجع لو ٤:١٨)، **ووفاءً لكلام المسيح نفسه الذي قال بأنّ هناك أمورًا "أُظهرت للبسطاء وأُخفيت عن الحكماء والفهماء" (مت ١١:٢٥). هؤلاء**

(٣٨) إيرونيموس، تفسير سفر أشعيا، التوطئة، ٢٤، ١٧.

(٣٩) اللجنة البيبليّة الحبريّة، التفسير البيبليّ في الكنيسة، ج III, 2.

(٤٠) المرجع السابق نفسه، ج III, 2.

"**الصغار**"، **الذين "يجدون أنفسهم مندفعين لتعليق آمالهم** على الله وعدله، يتمتّعون بقدرة على سماع كلمة الله وتفسيرها، قدرة يجب على الكنيسة أن تأخذها بعين الاعتبار وتهتمّ بها على الصعيد الاجتماعيّ"(٤١).

لم ينسَ المجمع الفاتيكانيّ أن يشجّع أيضًا، في الفقرة ٢٣، العلماء الكاثوليك على أن يبحروا في بحر علم الكتاب المقدّس وينقّبوا بحماسة عن جواهره الدفينة، وذلك تحت إشراف السلطة التعليميّة المقدّسة. فيُعدّوا بذلك لشعب الله غذاءً كتابيًّا ينير الأذهان ويوطّد العزائم ويُلهب قلوب البشر بحبّ الله. هكذا "تصبح دراسة الكتب المقدّسة بمثابة روح علم اللاهوت"(٤٢)، بها يتجدّد تجدّدًا دائمًا ويتعزّز تعزيزًا متينًا.

### ٣- من وجهة رعويّة

عندما نتكلّم عن العهد القديم في حياة المؤمنين، يجب ألاّ يسهى عن بالنا الخوف الذي يعتري بعضهم عند قراءته، لا الخوف فقط بل أيضًا التشكيك بما يتضمّنه من أخبار غريبة لا تتّفق أحيانًا مع حضارة هذه الأيّام وعقليّة الناس. يجدون فيه روايات عن القتل والزنى والانتقام والخيانة والحروب الدمويّة، وإلى ما هنالك من عادات وتقاليد ذلك الزمان المخيف.

#### أ- موقف سياسيّ

لا شكّ بأن هذا الموقف السلبيّ من العهد القديم ورجالاته تغذّى عبر التاريخ من الشعور بالكره، لدى البعض، تجاه اليهود عامّة، أو من الموقف السياسيّ الرافض، لدى البعض الآخر، لقيام إسرائيل كدولة وكيان مستقلّ في الشرق الأوسط. حتّى إنّ هذا الكره لليهود ولكتابهم أصبح بندًا من بنود بعض الأحزاب الإيديولوجيّة عندنا في لبنان وفي الشرق عامّة. فموسى، "رجل الله" (تث ٣٣: ١)

(٤١) المرجع السابق نفسه، ج III, 2.

(٤٢) المجمع الفاتيكانيّ الثاني، **كلمة الله**، ٢٤.

"الذي عرفه الرب وجهًا لوجه" (تث ٣٤: ١٠)، يُضحي في نظرهم زعيمًا صهيونيًّا يُمعن في قتل الفلسطينيّين وتهجيرهم من أراضيهم، أو يساهم في بناء مستوطنات يهود الشتات على التلال المشرفة على القدس. والخطير في هذا هو أنّ سهام الكره لا تصيب موسى وغيره من رجال العهد القديم وحسب، وهم بشر مثلنا مجبولون بالضعف، بل تطال أيضًا الله نفسه الذي شرخوه بين إله قديم يقتل ويلعن، وآخر جديد يحبّ ويغفر.

بالطبع المسألة دقيقة وحسّاسة، وهي تحتاج إلى شرح وتفسير وقراءة هادئة. فلا يجوز أبدًا أن نُسقط شعورنا الشخصيّ والداخليّ، نحن قرّاء اليوم، على ما نقرأه في كتاب تفصلنا عنه آلاف السنين من الزمن ومن العادات والتقاليد المختلفة.

**ب- مفهوم "الكتاب" في نظر الكنيسة**

لهذا، على القارئ أن يدرك أنّ الكتاب المقدّس، في المفهوم المسيحيّ عامّة، يتألّف من مجموعة أسفار تروي خبرة بعض البشر مع الله أو مع شخص ابنه يسوع. فعلى مرّ العصور، وفي حقبات مختلفة، وعبر مراحل عديدة، وُجد مَن دوّن خبرة هؤلاء الأشخاص. إنّهم كتّاب انبثقوا من قلب شعبهم، عايشوا خبراته مع الله وفكّروا وصلّوا. هم بشر مثلنا اختارهم الله وألهمهم بنعمة روحه القدّوس، فكتبوا خبرة شعبهم وبعض شخصيّاته مع الله بكلّ مآسيها وأفراحها، بكلّ سقطاتها وتجلّياتها، بكلّ خياناتها ووفائها، بكلّ عارها ومجدها... دوّنوا قصّة الله مع الإنسان كما أوحاها لهم الله في تأمّلاتهم: كيف خلقه، وعاقبه عندما خطىء، كيف أظهر له حبّه عبر التاريخ، كيف خلّصه "بيد رفيعة وذراع مبسوطة"، كيف صبر على جهالاته وغفر له خطاياه الكثيرة... كما أنّهم عرضوا جواب الانسان على مبادرات الله: أين أحسن وأين أخفق، أين عصى وأين أطاع، أين خطىء وأين تاب... كلّ هذا كتبوه غير خجلين من بعض الصفحات المظلمة التي رافقت مسيرتهم مع الله. لأنّ هذا الأخير أراد أن يُظهر نفسه ويخلّص ذاك الانسان الضعيف.

هناك إذًا حقيقة إلهيّة في الكتب المقدّسة. لكنّ هذه الحقيقة الإلهيّة عُبِّر عنها شيئًا فشيئًا وليس دفعةً واحدة. كما أنّ اكتشافها يتمّ رويدًا رويدًا. إنّ الله، بصفته

المربّي الصالح لشعبه، لم يكشف ذاته دفعة واحدة، و لم يُرهق شعبه بإنزال حقيقته الإلهيّة عليه في وقت واحد، بل راعى الله، طوال قرون طويلة، إمكانات الإنسان الضعيفة للفهم، وسامح جهالاته، وغضّ الطرف عن الأفكار الخاطئة الّتي كوّنها عنه، عندما رآه الإنسانُ وتخيّله موجودًا في حجرٍ أو صنمٍ أو قمرٍ أو شمس... أو عندما ألصق فيه صفات هي بعيدة كلّ البعد عن جوهره، كالله المنتقِم أو العنيف أو القاتل... بكلمة، احترم الله حدوديّة الإنسان. والكتاب المقدّس هو صورة عن هذا الاحترام لهذه المحدوديّة(٤٣).

**ج- "هل تفهم ما تقرأ؟ قال: كيف لي ذلك إن لم يرشدني أحد؟" (رسل ٨: ٣٠-٣١)**

تشبه حالتنا أحيانًا، عندما نرغب في قراءة الكتاب المقدّس، لاسيّما العهد القديم، حالة ذلك الرجل الحبشيّ الذي التقاه فيلبّس الرسول وهو يقرأ فصلاً غامضًا من سفر أشعيا، من دون أن يفهم معناه ولا من يقصد النبيُّ بكلامه. فراح الرسول يشرح له الكتاب ويبشّره، انطلاقًا منه، بيسوع المسيح (راجع رسل ٨: ٢٦-٤٠). هذه الحاجة إلى دليل يرشدنا في القراءة والفهم تزداد بل تصبح ضروريّة عندما نقع على أحد تلك النصوص القديمة التي تصدم القارئ بفظاعتها وعدم أخلاقيّتها. **القدّيس أوغسطينوس** نفسه أصيب بخيبة أمل كبيرة، وله من العمر تسع عشرة سنة، عندما عجز عن التعرّف على المسيح من خلال مثل تلك النصوص، حتّى إنّه لم يتصالح مع العهد القديم إلاّ عندما أرشده القديس أمبروسيوس أسقف ميلانو إلى تفسير صحيح أوصله فعلاً إلى المسيح.

نأخذ مثلين اثنين من تلك النصوص المشكّكة لنقول فيها كلمة: الأوّل يسرد واقعة زنى، والثاني يتحدّث عن دعوة الله إلى الانتقام.

(٤٣) يقول المجمع الفاتيكانيّ الثاني في هذا المجال: "في الكتاب المقدّس إذًا يظهر تنازل الحكمة الأزليّة، هذا التنازل العجيب الذي تبقى فيه حقيقةُ الله وقداستُه على ما هما عليه، وبه نقدّرُ عطفَ الله الفائق الوصف، الذي جعله يرفق بطبيعتنا ويتجاوب معها فيكيّف كلامه حسب متطلّباتها، حتّى إنّ كلام الله، وقد نطقت به شفاه بشريّة، صار شبيهًا بكلام البشر، كما أنّ كلمة الله الأزليّ قد اتّخذ يومًا بالجسد وهن الطبيعة البشريّة وصار شبيهًا بالبشر" (**كلمة الله**، ١٣).

**١) ٢صم ١١: خطيئة داود مع امرأة أوريّا**

داود، ملك إسرائيل، يشتهي بتشابع امرأة أوريّا الحثّيّ أحد جنوده، فيرتكب معها الفحشاء مستغلاً انشغال زوجها بالحرب من أجل مَلِكه. زنى داود يدفعه إلى ارتكاب خطيئة أخرى، إذ خطّط مع يوآب، قائد جيشه، لقتل أوريّا بعد أن رفض هذا الأخير أن يضاجع امرأته حفاظًا على حرمة الحرب ووفاءً لسيّده الملك. وبعد أن مضت أيّام مناحة بتشابع على زوجها، أرسل الملك يطلبها وتزوّجها. وتمضي القصّة تروي لنا مجيء ناتان النبيّ الذي وبّخ الملك على فعلته لأنّ "ما صنعه قد ساء في عيني الربّ" (٢صم ١١: ٢٧).

في الكتاب المقدّس روايات عديدة على شاكلة هذه الرواية، تصدم القارئ لما فيها من إباحيّة تنافي الأخلاق، فيتولّد شعور بالشكّ لمجرّد وجودها في كتاب مقدّس (راجع مثلاً تك ١٩: ٣٠-٣٨؛ ٣٨: ١-٣٠؛ ٢صم ١٣: ١-٢٢). من دون الدخول في تفاصيل الشرح الكتابيّ، علينا ألاّ ننسى أولاً ما قلناه سابقًا عن طبيعة الكتاب المقدّس في المفهوم المسيحيّ. **فالكاتب هنا لا يُخفي ما ارتكبه داود من فحشاء، مع أنّه ملكُه المحبوب جدًّا. هذا الملك الزانيّ** هو نفسه، بالنسبة إليه، راعي الغنم الذي اختاره الربّ من بين كلّ إخوته ليكون راعي إسرائيل وخليفة شاول، هو نفسه من نجّاه الربّ من مكايد عدوّه شاول الحاقد عليه، هو نفسه الذي "أراحه الربّ من كلّ الجهات من جميع أعدائه" (٢صم ٧: ١). خطيئة داود تشهد أكثر فأكثر على القاعدة الذهبيّة التي تتكرّر دائمًا في الكتاب المقدّس: اختيار الربّ لشخص ما لا يتعلّق أبدًا بأهليّة الشخص واستحقاقاته الذاتيّة، بل بنعمة مجّانيّة خالصة من الربّ. إنّ داود الملك يختصر بشخصه تاريخ شعبه "المختار" الذي أوضح له الربّ سببَ اختياره له قائلاً: "لا لأنّكم أكثر من جميع الشعوب تعلّق الربُّ بحبّكم واختاركم، فأنتم أقلّ من جميع الشعوب، بل لمحبّة الربّ لكم ومحافظته على القسم الذي أقسم به لآبائكم" (تث ٧: ٧-٨).

**٢) المزمور ٨٣: انتقام الله من الأعداء**

هذا المزمور هو مثلٌ نموذجيّ رائع لنصوص تشبهه في دعوة الله إلى الانتقام من أعداء إسرائيل التقليديّين (راجع مثلاً آخر مز ٩٤). يصرخ الكاتب إلى الله ويدعوه

لكي "لا يظلّ ساكتًا" تجاه أعداء الشعب، الذين أمسوا أعداءه هو. لذا عليه أن يدمّرهم وأن يمحوَ أثرهم كسدوم وعمورة، وأن يذرّيهم كالقشّ في مهبّ الريح، وأن يحرقهم كما "يُضرمُ اللهيبُ الجبالَ"، فيعلموا في النهاية أنّه وحده هو الربّ المتعالي على الأرض كلّها.

لا شكّ بأنّ مثل هذه "الوحشيّة" في صلاة صاحب المزمور تصدم مصلّي اليوم. لكن لا بدّ من فهم مثل تلك النصوص في إطارها الدينيّ والتاريخيّ آنذاك. لم يؤمن الإسرائيليّ بحياة بعد الممات، وبالتالي بدينونة ما ورائيّة، إلاّ في حقبة متأخّرة من تاريخه. لم يكن لديه سوى هذا الزمن التاريخيّ ميدانًا فيه تتحقّق، بالنسبة إليه، عدالة الله: فيخلص البار ويُعاقب الأثيم. لذا، مثلاً، كان يُنظر إلى موتٍ باكرٍ لإنسانٍ بارّ كفضيحة ومعضلة لا جواب عليها (إقرأ حك ٣: ١-١٢). كما أنّ رؤية الأشرار يزدادون ويزدهرون وينعمون بخيرات الأرض كانت تحيّر الإنسان البارّ السالك بحسب شريعة الرب: "لماذا ياربّ تقف بعيدًا..؟ الشرّير بكبريائه يلاحق البائس... في كلّ حينٍ تنجح مساعيه" (مز ١٠: ١، ٢، ٥). من هنا تأتي صرخة البارّ إلى الله مدوّية. إليه يفوّض دعواه وكأنّ أعداءه هم أعداء الله نفسه، يقفون في وجهه ويمنعون إتمام خلاصه على الأرض. على الأشرار أن يهلكوا الآن على هذه الأرض شرَّ هلاك، وعلى البار أن يحيا ويتنعّم ويشبع من الأيام. عدالة الله على المحكّ، وفي النهاية هو اسمه الذي سيتبارك ويعلو. في صلاة صاحب المزمور هذا ثقة كبيرة واستسلام كلّي لله. إنّه هو من سيقوم ليضرب ويخلّص، لا صاحب المزمور. إنها ثقة قويّة معبّر عنها بكلمات أقوى، تعكس ما في قلب المصلّي من إيمان عظيم بالله وبمخطّطه. هكذا إذًا كان عالم ذلك الزمان يفكّر ويصلّي. لقد عبّر عن إيمانه بالله حسب معتقده وتفكيره، وبمفردات تعكس واقعه وزمانه. فلا نلصقنَّ بالله "القديم" جزافًا صفات القتل وعدم الرحمة، لأنّه هو نفسه "الربّ الربّ، إله رحيم ورؤوف، طويل الأناة وكثير الرحمة والوفاء" (خر ٣٤: ٦).

يجب ألاّ ننسى شيئًا آخر يساعدنا على فهم مثل تلك النصوص، وهو أنّ الكتاب المقدّس، بصفته كتابًا كُتب في هذا الشرق، لا يدوّن حقيقة نظريّة، أو مبدأ

فلسفيّا خالصًا. كتّابه لا يعرفون التنظير على الطريقة اليونانيّة، بل على العكس إنّهم يدوّنون خبرة واقعيّة، حقيقةً إلهيّة مجبولة بأحداث تاريخيّة: أحداث حبٍّ وتضحية وترك وخطيئة وعقاب وتوبة وصلاة ودعاء وموت وقيامة. مفهوم الخلق مثلاً عرضه الكاتب المقدّس عبر قصّة رمزيّة (تك ١–٢)؛ ووصيّة الراحة في السبت عبر سرد قصّة الله المستريح في اليوم السابع؛ والخلاص عبر الصلاة من أجل النجاة من أعداء يحيطون بالمصلّي.

## خاتمة

إن عَنَت كتب اليهود للمسيحيّين شيئًا فذلك لأنّ المسيح أتمّها، ودعا تابعيه للإيمان بها كشرط للإيمان به: "وإذا كنتم لا تؤمنون بكتبه [كتب موسى]، فكيف تؤمنون بكلامي؟" (يو ٥:٤٧). المسألة–المعضلة تكمن دائمًا في كيفيّة إدراكنا لمفهوم إتمام المسيح للعهد القديم. من هنا، سعت الوثيقة الحبريّة، **الشعب اليهوديّ**، إلى إعطاء معنًى جديدٍ لمفهوم الإتمام. تقول إنّ الإيمان المسيحيّ لا يفهم إتمام المسيح للكتب المقدّسة على أنه مجرّد تحقيق بسيط لما كان قد كُتب قديمًا، بمعنى أنّ يسوع يكتفي فقط بلعب دور حُدِّد مسبقًا هو دور المسيح. الإتمام يحمل أيضًا نوعًا من التجاوز ومن التجديد: أعطى يسوع لكلّ المفاهيم القديمة (المسيح، الخلاص،الخ) بعدًا جديدًا لا يمكن تصوّره مسبقًا. مسيحانيّة يسوع ترتدي زيًّا جديدًا لم يفصّله الأنبياء و لم يخيطوه. من هنا، يخطئ من يفهم العهد القديم على أنّه مجرّد صور مسبقة لحوادث ستجري في المستقبل. عليه ألاّ ينسى أنّ جميع نصوصه، حتّى تلك التي اعتُبرت لاحقًا نصوصًا مسيحانيّة تنبئ عن المسيح (أش ٧:١٤، مثلاً)، كانت تحمل لمعاصريها معنًى آنيًّا ومباشرًا. يدفعنا هذا التفكير الرصين، من جهة، على احترام العهد القديم كما هو، ككلمة من الله لها تاريخها، وُجّهت لشعب من الشعوب في زمن معيّن ومكان محدّد، ومن جهة أخرى، على عدم التطرّف في "مسحنة" الكتب القديمة، أي ألا نرى فيها إلاّ وعدًا وتنبّؤًا عن يسوع المسيح. التوراة والأنبياء وسائر المؤلّفات هي كلمة الله حتّى قبل مجيء المسيح. ومن هذا المنطلق صلاّها يسوع، وتأمّلتها الكنيسة من بعده. هكذا نقي أنفسنا من خطر

طالما وقعنا فيه، نحن المسيحيّين، وهو عجزنا عن أن نغفر جحود اليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح لأنّ الكتب، وهذه هي حجّتنا، سبقت وأنبأت عنه. "نحن، كما هم، نعيش في الانتظار. الفرق هو أنّ الذي سيأتي، بالنسبة إلينا، سيكون هو نفسه الذي سبق وأتى وهو الآن حاضر بيننا وفعّال. الإتمام النهائيّ هو الذي سيحصل في آخر الأزمنة، مع قيامة الأموات والسماوات الجديدة والأرض الجديدة "(٤٤).

"ماذا كُتب في الشريعة؟ كيف تقرأ؟" (لو ١٠: ٢٦)، سؤال يسوع هذا لأحد علماء الشريعة موجّه لنا أيضًا، لأنّ المسألة كلّها تكمن ربّما في "كيف نقرأ" العهد القديم.

(٤٤) اللجنة البيبليّة الحبريّة، الشعب اليهوديّ، ٢١.